Journal of the Roaq Al-Hikma, University of Zawiya (UZRHJ)
Issue 8 - Issue 1 – June2024, pp137-150 , Issn:

Orientalist Lorvicia Vaglieri and her vision in the Holy Quran

Hoda Nasr

Faculty of Sharia/University of Zawiya

Zawiya - Libya

EMAIL: Hoda.Nasr.ly@gmail.com

DOI: Accepted: 25/03/2024 Available online:30 /06/2024Received: 13/03/2024

ABSTRACT

This research aims to clarify the vision of the Italian Orientalist Laura Vischia in her defense of the Quran as a spring of pure water in reuniting Feuding groups. Vaguileri emphasized thet the greatest miracle of Islam is the Quran which transmits to us the established and uninterrupted narrative through reports characterized by absolute certainty.It is a book that cannot be imitated. Each of its expressions is comprehensive and yet it is of an appropriate size, not too long and not too short. Laura Visechia confirms that the simplicity of the faith and the depth of Islam rituals are among the elements that helped in the rapid spread of Islam, its strength and its acceptants, as Islam directs a double invitation to man, calling him to believe that there is no God but God and the Muhammmad is the Messenger of God In the context of her taIk about the meaning of Islamic rituals. Vaguileri pointed out that it is necessary to carefully stuedy the pillals, of Islam to discover the secret that makes it possible for these rituals to purify the believer,s soul and help him gradually ascend towrd god .

Keywords: Italian Orientalism. Lauravicia. Islamic rituals. Defense of Islam

المستشرقة لورفيشيا فاغليري و رؤيتها في القرآن الكريم

هدى نصر
كلية الشريعة/جامعة الزاوية
الزاوية - ليبيا
EMAIL: Hoda.Nasr.ly@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/03/13م تاريخ القبول: 2024/03/25م تاريخ النشر: 2024/06/30م

ملخَّص البحث:

يهدف هذا البحث إلى توضيح رؤية المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا في دفاعها عن القرآن الكريم ينبوع الماء الصافي، فجمع شمل الجماعات المتناحرة. فأكدت فاغليري: إن معجزة الإسلام العظمى القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة، من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى مُحاكاته، إن كلاً من تعبيراته شامل جامع، و مع ذلك فهو ذو حجم مناسب، ليس بالطويل أكثر مما ينبغي، و ليس بالقصير أكثر مما ينبغي. و تؤكد لورافيشيا أن بساطة العقيدة وعمق الشعائر الإسلامية باعتبارها عنصراً من العناصر التي ساعدت في سرعة انتشار الإسلام و قوته و قبوله، حيث أن الإسلام يُوجِه دعوةً مزدوجة إلى الإنسان تدعوه إلى الإيمان بأن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله. و في سياق حديثها عن معنى الشعائر الإسلامية أشارت فاغليري إلى ضرورة دراسة أركان الإسلام درساً دقيقاً لاكتشاف السر الذي يجعل من ميسور تلك الشعائر أن تُطهر روح المؤمن وتساعده على السمو تدريجياً نحو الله.

كلمات مفتاحية: الاستشراق الإيطالي. لورافيشيا. الشعائر الإسلامية . دفاع عن الإسلام.

مقدمة:

"إن مثل هذه الرسالة كان يتعين عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز، و على اختلاف الجنسيات و الأوطان و الأعراف".[1]

ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان، و الذي لايزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي آخر الأنبياء حملة الشرائع.

من آثار لورافيشيا فاغليري، "قواعد العربية. في جزأين، ألف الأول سنة1937م، و الآخر سنة1941م، و كتاب الإسلام. ألفته سنة1964م، و كتاب دفاع عن الإسلام. ألفته سن 1952م".[2]

مشكلة الدراسة:

نظراً لما طال الدين الإسلامي من تشويه نتيجة للاستشراق، تلك الظاهرة التي قامت بأبشع الحملات الفكرية على الإسلام بدلاً من الحملات العسكرية، و هي أشد فتكًا من الحروب و القتال، و

قد مولت هذه الحركة، و مازالت تمولها الحكومات الغربية و الكنائس المسيحية، ممن يحاربون الإسلام.

و تُعد المستشرقة لورافيشيا من أوائل المستشرقين المُنصفين، و قد اهتمت بدراسة الإسلام بروح متفتحة، و حركتها عواطف الإعجاب الشديد بالأصول و الأخلاق الإسلامية، كما هالتها الآراء التي تمتلئ بها كتب المستشرقين، و التي تُعبر عن جهل بالغ و تجاهل مقصود لقيم ديننا الإسلامي. عمدت لورافيشيا إلى التأليف عن الإسلام في جملته لتوضح مواقفه، و اختصت في الوقت نفسه بالرد على جميع الاتهامات الاستشراقية الرائجة في سوقه، فكتبت مُؤلفها الشهير (دفاع عن الإسلام)، الذي يدل عنوانه بوضوح عن موقفها المبدئي من هذا الدين. و يمكن توضيح مشكلة الدراسة من خلال التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الاستشراق و أهم مدارسه؟
- ما خصائص الاستشراق الإيطالي؟

أهمية الدراسة:

إن العرب لولا الإسلام لم يُكونوا فكراً يُدرس أو ظاهرة لها أثرها، تكمن أهمية هذه الدراسة في مدى اهتمام المستشرقة المعاصرة لورافيشيا بنجاحات الإسلام، بالظروف المادية المحيطة به، فهي من المستشرقين الذين عرفوا الدين الإسلامي معرفة خاصة، من خلال دراسة مصادره و تاريخه، و قد أبرزت عواطف الود الصادق تجاه الإسلام باعتباره دينًا.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن السؤال التالي:

- ما هي رؤية المستشرقة لورافيشيا لمصدرية القرآن الكريم و أسلوبه؟ و رؤيتها للتشريع القرآني؟

منهجية البحث:

اتبعت الباحثة المنهج التحليلي في دراسة رؤية المستشرقة لورافيشيا لكتابنا الكريم.

انطلاقاً من هذه البحث حول رؤية المستشرقة لورافيشيا للقرآن الكريم، فقد قسمت البحث إلى النقاط الآتية:

أولاً: الاستشراق مفهومه و مدارسه:

الاستشراق: هو علم يدرس الشرق من حيث الديانات، واللغات، والحضارات، والشعوب وتاريخها، فهو يقوم بدراسة جميع ما يخص الجانب الشرقي من العالم، فالمستشرقين قوم من الغرب تخصصوا في دراسة الشرق و حضاراته، وكانت اهتمامهم منصباً على الفكر الإسلامي، و كانت أكثر أبحاث المستشرقين تصب في مجرى العداوة للإسلام والعروبة.

ومن هنا نجد أن المستشرق يقصد به:" هو شخص من الغرب، تعلم العلوم الشرقية، وديانات وحضارات أهل الشرق، وهذا الاتجاه قد ولد في الكنيسة، لذلك من المُلاحظ أن جميع المستشرقين تبنوا الموقف الذي اتخذته الكنيسة من الإسلام، وكان عبارة عن إعلان للعداوة له، والوقوف ضده بكل الطرق، وقد طعن المستشرقون في جميع ما يخص الإسلام، فكذبوا النبي محمدﷺ، و القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية، ولغة الإسلام، والتاريخ الإسلامي، وكانت غايتهم من هذا الأمر هو إثارة الشك حول دين الله، فيبعدون أهل الغرب عن الإسلام بالكذب عليه .[3]

فالاستشراق: طلب علوم الشرق ولغاته ومعارفه، لأغراض شتى وبأدوات مُتعددة وهي كلمة مولدة عصرية، تقال لمن يُعنى بذلك من علماء الغرب(.([4]

والغرب والشرق مصطلحان حديثان جرياً على ما اصطلح عليه الأوروبيون في عصر الاستعمار من تقسيم للعالم إلى شرق وغرب: يعنون بالغرب أنفسهم، ويعنون بالشرق: أهل أسيا وأفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم وجرينا نحن من بعد على هذا الاستعمال(.([5]

ولا ينفي حداثة الاصطلاح والاستعمال قِدَم الدلالة والمفهوم لهذه الكلمة فقد كانت في قديم الزمان قوتان تتصارعان و تتنازعان السيادة، أحدهما في الشرق والأخرى في الغرب مروراً بالفرس والروم، ثم المسلمين والصليبيين.

فالاستشراق إذن يُمثل ظاهرة بارزة من مظاهر التفاعلات الفكرية والصراعات التي قامت بين الشرق والغرب، أي أداة المعرفة في الثقافة الغربية وموضوعه الشرق بما حوى من معارف وعلوم وحضارات.

و المستشرق هو: عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق وآدابه([6])، فالاستشراق ميدان، والمستشرق هو العامل فيه.

والمصطلح في عمومه يعني دراسة الشرق بعامة، وفي خصوصه يعني دراسة الشرق العربي الإسلامي، وهو ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه، أي أننا نعني دراسة الشرق العربي الإسلامي بخاصة، وبدا لم يعد يقتصر على الرقعة الجغرافية(الشرق) الذي يُقابل الغرب، بل تجاوزها إلى غرب الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية، فعُدّت كلا من مصر و المغرب شمال أفريقيا، ومن تعرب من سكان هذه الدول من الشرق، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الإسلام، و لغتها العربية(.([7]

فالاستشراق ظاهرة ما كانت تبرز لولا العرب المسلمون، إن الإسلام هو الدين الذي أرعب أوروبا العصر الوسيط، وشكل لها خطراً هدد الكنيسة ورجال الدين المسيحي، فهبوا في وجهه يستعملون السيف لردعه، ويستخدمون القلم في نقده.

فالحروب الصليبية جسدت مظهراً للصراع الحضاري بين الإسلام والغرب عبر قرنين من الزمان، وعلى رقعة جغرافية عريضة تمر بالأناضول وتستوعب معظم بلاد الشام، وتلتهم كل سواحل البحر المتوسط الشرقي، ولا تنتهي إلا بتونس غرباً([8]). إن الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الفكر الغربي.

ثانياً: خصائص الاستشراق الإيطالي:

كانت إيطاليا أسبق الأمم الغربية أخذاً بالاستشراق، بحكم قربها من شمال أفريقيا والشرق الأدنى، وكان ذلك مُنذُ القرن الثالث الميلادي، حيث فتح المسلمون صَقلية ومكثوا بها أكثر من 250عاماُ، فهي ترتبط بروابط تاريخية وجغرافية وثيقة، تلك الروابط التي تأرجحت بين مدٍّ وجزر وبين السعي في تحقيق أهداف سياسية واستعمارية، وعلى الرغم من غلبة هذه الأهداف على الاستشراق الإيطالي، فإنه قد صاحبه اهتمام علمي واضح. وبدأت الجامعات الإيطالية تهتم بالدراسات الإسلامية، فقامت جامعة بولونيا سنة 1076م بالاهتمام بالعلوم العربية، وتلتها جامعة نابولي عام1224م، ثم جامعات: مسينا، وروما، وفلورنسا، وبادوا، ثم أخيراً الجامعة الجريجورية التي اعتنت بصورة خاصة بالدراسات الإسلامية.[(9)]

ويعد المستشرق كايتاني الأمير ليوني1869م- 1926م من أشهر مستشرقي هذه المدرسة، فقد كان يتقن عدة لغات، منها: العربية و الفارسية، فعمل سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة، زار كثيرًا من البلدان الشرقية، منها: الهند و إيران، و مصر، وسوريا، ولبنان، ومن أبرز مؤلفاته: حوليات الإسلام المكوَّن من عشرة مجلدات، تناولت تاريخ الإسلام من عام35هـ، و أنفق كثيراً من أمواله على البعثات العلمية لدراسة المنطقة، و يُعد كتابه: الحوليات مرجعاً مهماً لكثير من المستشرقين.

و يمكن إيجاز أهم خصائص هذه المدرسة في الآتي:

1- بدأت لتحقيق أغراض دينية، ثم تطورت لتحقيق أغراض تجارية وسياسية واستعمارية.

2- ركزت على الدراسات العربية والإسلامية.

3- اهتمت بجمع المخطوطات العربية النادرة.

ترى لورافيشيا في كتابها، دفاع عن الإسلام: "إن هذا الكتاب الذي تلى كل يوم في طول العالم الإسلامي و عرضه لا يوقع في نفس المؤمن أيما حس بالملل على العكس، إنه من طريق التلاوة المتكررة يجيب نفسه إلى المؤمن أكثر يوماً بعد يوم، إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حساً عميقاً([10])من المهابة والخشية".([11])

"إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر، حتى اتيا بخبر اليوم على الرغم من انحسار موجة الإيمان آلافاً من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب، وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الإنجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها".([12]

"فيما يتصل بخلق الكون، فإن القرآن على الرغم من إشارته إلى الحالة الأصلية، وإلى أصل العالم... لا يقيم أيما حد مهما يكن في وجه قوى العقل البشري، ولكنه يتركها طليقة تتخذ السبيل الذي تريد".([13]

إن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيه رحمة للعالمين هي نداء مباشر للعالم كله، و هذا دليل ساطع على أن الرسول شعر في يقين كلي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية وأن عليه أن يبلغ الكلمة الجديدة إلى شعوب تنسب إلى أجناس مختلفة، و تتكلم لغات مختلفة.

ثالثاً- المستشرقة لورافيشيا و رؤيتها في مصدرية القرآن:

تؤكد لورافيشيا في كتابها دفاع عن الإسلام: إن هذا الكتاب الذي يُتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع الملل في نفس المؤمن، بل على العكس، إنه من خلال التلاوة المكررة يُحبب نفسه إلى المؤمن أكثر يوماً بعد يوم، فهو يجعل من يتلوه أو يصغي إليه يشعر بإحساس عميق بالمهابة والخشية.

"إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر، حتى إننا نجد اليوم على الرغم من انحسار موجة الإيمان آلافاً من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب، و في مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الإنجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها"(.([14]

تتحدث المُستشرقة لورفيشيا عن سند القرآن الكريم و اتصاله، و عن روعة أسلوبه و بلاغته التي يبعد معها أن يكون من تأليف النبيﷺ، فتقول: "إن معجزة الإسلام العظمى هي(القرآن)، الذي ينقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق، إن القرآن لا يُعقل أن ينبثق عن غير الذات التي وسع عِلمُها كل شيءٍ في السماء والأرض....إنه يُوقعُ في نفسِ من يتلوه أو يُصغِي إليه حِسّاً عَمِيقاً من المهابة و الخشية، إنه كتاب شامل وجامع و مع ذلك فهو ذو حجم مناسب ليس بالطويل أكثر مما ينبغي و ليس بالقصير، مما ينبغي أما أسلوبه فأصيل فريد، إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، و هو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق و العُذوبة معاً، و هما صفتان لا تجتمعان عادة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد وهو العربي الأمي؟".([15]

و تقول في مصدريته الإلهية: "لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقبة، و هي أن نصه ظل صافياً غير مُحرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، و أن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف بإذن الله مادام الكون"(.([16]

و بذلك أكدت لورفيشيا أن السر وراء انتشار الإسلام السريع في ربوع العالم لا يرجع إلى القوة، و إنما يعود إلى الكتاب الذي قدمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة مع تخييرها بين قبوله و رفضه- كتاب الله- أعظم معجزة كان في ميسور محمد أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض.[(17)]

بدأت لورفيشيا فصلها الأول بالحديث عن نشوء الإسلام وقدرته الفذة على التغيير، إذ تقول: "نشأ الإسلام، مثل ينبوع من الماء الصافي، وسط شعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء، بعيدة عن ملتقى طرق الحضارة، و كان ذلك الينبوع غزيراً لدرجة جعلته يتحول إلى جدول، ثم إلى نهر، ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد، و في تلك المواطن التي ذاق فيها القوم طعم تلك المياه الأعجوبة، سويت المنازعات وجمع شمل الجماعات المتناحرة. و بدلاً من الثأر الذي كان هو القانون الأعلى، و الذي كان يشذّ العشائر المنحدرة من أصل واحد، في رابطة متينة ظهرت عاطفة جديدة، هي عاطفة الأخوة بين أناس تشدّ بعضهم إلى بعض مُثل عليا مشتركة من الأخلاق و الدين. ... وما أن أمسى هذا الينبوع نهراً لا سبيل إلى مقاومته، حتى طوق تياره ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة، و قبل أن توفق شعوب تلك الممالك إلى إدراك مغزى الحدث الحقيقي، داهمها ذلك التيار، قاهراً البلاد محطماً الحواجز موقظاً بصخبه عقولاً منشئاً من أكبر عدد من الشعوب المتباينة، مجتمعاً موحداً" .[(18)]

ثم ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث أكدت على إن هذه المعجزة الإسلامية العظيمة قد نقلت لنا رواية راسخة غير مُنقطعة من خلال أنباءً تتصف باليقين المطلق، فهذا الكتاب لا سبيل إلى محاكاته، ولا يوجد في الأدب العربي ولا في العصور السابقة مثل هذا الأسلوب الذي جاء به .[(19)]

رابعاً: رؤيتها في أسلوب القرآن.

في توصيف أسلوب القرآن و ألوهية مصدره، ترى لورافيشيا: أن القرآن الكريم يتصف برسوخ الرواية ويقيتها وعدم انقطاعها، فهو يقدم لنا تعبيرات شاملة وجامعة، كما يتميز بالأصالة في الأسلوب لا سبيل إلى محاكاته، فآياته ليست قصيرة وليست طويلة، فهي موضوعة كما ينبغي، إنه كتاب فريد يحدث أثر عميق في نفس كل من استمع إلى آياته[(20)]، لذلك فهو يتم من غير ما عون

عرضي أو إضافي من خلال سموه السليقي. إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، حتى عندما تعالج موضوعات لابد أن تُؤثر في نفسها و جرسها كموضوع الوصايا و النواهي و ما إليها.

إنه يكرر قصص الأنبياء، و أوصاف بدء العالم و نهايته، و صفات الله و تفسيرها، و لكن يكررها على نحو مُثير إلى درجة لا تضعف من أثرها، و هو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق و العُذوبة معاً، و هما صفتان لا تجتمعان عادة، حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقاً كاملاً، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمدﷺ و هو العربي الأميّ الذي لم ينظم طول حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينم أي منها عن أدنى موهبة شعرية"(.([21]

ترى لوفيشيا إن التاريخ لم يشهد قط ظاهرة مثل ظاهرة الفتوحات، ومن العسير على المرء أن يُقدر السرعة التي حقق بها الإسلام فتوحه، والتي تحول بها من دين يعتنقه بضعة نفر من المتحمسين إلى دين يؤمن به ملايين الناس، ولا يزال العقل البشري يقف مذهلاً دون اكتشاف القوى السرية التي مكنت جماعة من المحاربين من الانتصار على شعوب متفوقة عليه تفوقاً كبيراً في الحضارة والثروة والخبرة والقدرة على شن الحرب، ومن ادعى الأمور أن نلاحظ كيف استطاع أولئك الناس أن يحتلوا تلك المناطق كلها، وأن يثبتوا بعد ذلك فتوحهم على نحو جعل حتى الحرب المتعاقبة قرناً بعد قرن عاجزة عن إخراجهم منها، وكيف استطاعوا أن يلهبوا نفوس أتباعهم بتلك الحماسة الفائقة لمثلهم العليا، وأن يحتفظوا بحيوية نابضة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمدﷺ، و أن يفرغوا في عقول أتباعهم على الرغم من انتسابهم إلى عصر وثقافة مختلفين كل الاختلاف عن عصر المسلمين الأولين وثقافتهم إيماناً متقداً لا يحجم عن القيام بأي تضحية .[(22)]

تقول لورفيشيا: "لقد تحرك الجيش الإسلامي في سرعة وتتابعت المعارك، وبدأ النجاح و كأنه قد جعل الأقدام الفاتحين أجنحة: فقد ترددت في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان– رضي الله عنهم– أصداء الأنباء البهيجة الحاملة بشائر الانتصارات بتنظيم البلدان المفتوحة و توطيد أقدام العرب فيها، و لم يكن هذا الصنيع أقل إعجازاً من الفتوح نفسها، لقد قوضت حضارات وزعزع دينان، فإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الحائرة القوى، لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش دين جديد، سهل يُخاطب القلب و العقل جميعاً، و أقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حد بعيد في خصائصه و مبادئه الأخلاقية من تلك المعروفة في ذلك العصر... إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة، إن الذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون للشعوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه،

كتاب الله كلمة الحق، أعظم معجزة كان في ميسور محمدﷺ أن يقدمها إلى المُترددين في هذه الأرض" .[23]

أما فيما يتصل بخلق الكون فإن القرآن الكريم برغم إشارته إلى أصل العالم، فقد خاطب العقل الإنساني واعطاه الخيار في اتخاذ السبيل الذي يريده[24]، لذلك فحين تصف لورافيشيا نبينا محمدﷺ نجدها تقول: "كان متمسكا بالمبادئ الإلهية، شديد التسامح، و بخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة، لقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين مصطنعاً الأناة دائماً اعتقاداً منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم و إخراجهم من الظلام إلى النور، لقد عرف جيداً أن الله لابد أن يدخل الأمر إلى القلب البشري" .[25]

و تصور لورافيشيا الوحي المنزل على محمدﷺ فتقول: "دعا الرسول العربي محمدﷺ بصوت ملهم باتصال عميق بربه، دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية مُحرّفين إلى أصفى عقيدة توحيدية، وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى..." .[26]

"إن محمداًﷺطوال سنين الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب، حيث كان الزواج كمؤسسة اجتماعية، مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، و حيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة- رضي الله عنها- التي كانت سنها أعلى من سنّه بكثير، و أنه ظل طوال خمس و عشرين سنة زوجها المخلص المحب، و لم يتزوج كرة ثانية، و أكثر من مرة إلا بعد أن توفيت خديجة، و إلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره، لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي أو سياسي، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهن إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشار والقبائل الأخرى ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الإسلام و باستثناء عائشة- رضي الله عنها- ليس غير، تزوج محمدﷺ من نسوة لم يكنّ عذارى، ولا شابات ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟ لقد كان رجلاً لا إلهاً، و قد تكون الرغبة في الولد هي التي دفعته أيضاً إلى الزواج من جديد، لأن الأولاد الذين أنجبتهم خديجة- رضي الله عنها- له قد ماتوا. و من غير أن تكون له موارد كثيرة أخذ على عاتقه النهوض بأعباء أسرة ضخمة، ولكنه التزم دائماً سبيل المساواة الكاملة نحوهن جميعاً، و لم يلجأ قط إلى اصطناع حق التفارق مع أي منهن، لقد تصرف متأسيًا بسنة الأنبياء القدامى- عليهم السلام- مثل موسى و غيره، الذين لا يبدو أن أحداً من الناس يعترض على زواجهم المتعدد، فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية، على حين نعرف كل شيء عن حياة محمدﷺ العائلية"(.([27]

خامساً: رؤيتها في التشريع القرآني:

مغزى الشعائر الخمس: تتحدث لورفيشيا فاغليري عن شعائر الإسلام الخمس، التي تمثل عصب العبادة الإسلامية وروحها، محذرة من التعامل معها من وجهة النظر الخارجية، فهي ترى أن موقفاً كهذا خليق به أن لا يقل سطحية عن إعجاب المرء بالأصداف من غير أن يدرك أنها حافلة باللآلئ النفيسة، بدلاً من ذلك يتحتم دراسة كل ركن درساً دقيقاً لاكتشاف السر الذي يجعل في ميسور تلك الشعائر أن تظهر روح المؤمن و تساعدها على السموّ تدريجياً نحو الله، و عندئذ فقط نستطيع أن نرى أن لها غرضاً مزدوجاً، تمجيد الله من قبل عبيده، والتعبير عن شكرهم للنعم التي أسبغها عليهم" .[28]

و ترى أن هذه الشعائر الخمس تمنح المسلمين مساحة روحية ما منحها أي دين آخر في العالم، بهذا القدر من التنظيم والالتزام، وبهذه الإمكانية المزدوجة بين الاكتفاء، والتوغل العميق في الممارسة باتجاه آفاق لا نهاية لها، وذلك بالتأكيد أمر مرهون بقدرات المؤمن وطموحه للتحقق الروحي، انسجاماً مع واقعية الإسلام.

تبدأ حديثها عن الشعائر بالصلاة، قاعدة التعبد الإسلامي وشعاره اليومي، محاولة أن تكشف الأبعاد الأساسية لهذه الممارسة. فتقول: "يدعو المؤذن جماعة المؤمنين إلى أداء أول واجباتهم الدينية: الصلاة، حتى يذكروا، مهما كانوا مُنغمسين في شؤونهم الدنيوية، بخالقهم إنهم يستهلون هذه الشعيرة بتمجيد الله، و يختمونها برفع تحياتهم إليه، إنهم يشعرون بالطمأنينة دائماً في حضرته، و هم إذ يذلّون أنفسهم بالسجود، إنما يُعبرون عن خضوعهم المُطلق للقوة الإلهية، إن لكل من الكلمات والأعمال في الصلاة الإسلامية معنى خاصاً، لكنه ليس من العمق بحيث يعجز العقل الإنساني المعتاد عن استيعابه، إن التوجه نحو مكة ليذكر العالم الإسلامي دائماً بالموطن المجيد الذي شهد ولادة هذا الدين التجددي، و هو مركز مقدس تدور حوله.

وفي المنحى الحضاري للتشريع القرآني تقول: "قوضت حضارتان، و زعزع دينان، فإذا بفيض جديد من حياة عارمة يتدفق في عروق تلك الشعوب الخائرة القوى، لقد تجلى أمام عيون العالم دين جديد، يخاطب القلب و العقل، وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حدٍ بعيد في خصائصه و مبادئه الأخلاقية، من تلك المعروفة في ذلك العصر" .[29]

وفي أسرار العبادات التي شرعها القرآن، فتقول في الصيام: أما الصيام فإنه، "عمل قوامه الانضباط والرحمة والشفقة، إنه يقتضي المؤمن اجتناب جميع ملذات الجسد خلال مُدة بعينها، إنه لجم شهواته...وهو في حملة على إدراك ما ينعم به من آلاء، يُعمق اعترافه بفضل الله عليه" .[30]

و أما الزكاة فإنها إذ تُذكرنا بالأهمية الأخلاقية والاجتماعية التي ينطوي عليها تقديم الصدقات، التي اعترفت بها جميع الأديان الكبرى إلى حد ما، فإن أمرها في الإسلام يختلف، ذلك أن الإسلام، "يمتنع وحده بالمجد المتمثل في جعل الصدقة إلزامية، ناقلاً تعاليم المسيح ﷺ إلى دنيا الأمر، و من ثم إلى دنيا الواقع، فكل مسلم ملزم، بحكم القانون بأن يخصص جزءً من ثروته لمصلحة الفقراء والمحتاجين، وبأداء هذه الفريضة الدينية يختبر المؤمن حساً أعمق من الإنسانية، و يُطهر روحه من الشُحّ" .[31]

وعندما تبلغ الحج فإنها تجد أن من طبيعة القوى المكنونة فيه "أن تتكشف عن حكمة كاملة، فليس في استطاعة أحد أن ينكر الفائدة التي يجنيها الإسلام من اجتماع المسلمين السنوي في مكان واحد يسعون إليه من مختلف أرجاء العالم...كلهم يتوجهون نحو الكعبة لمجرد التماس الغفران من الله، وهم إذ يلتقون في مثل ذلك المكان لمثل هذا الغرض، إنما ينشئون صلات جديدة من المحبة والأخوة، مرة واحدة في حياة المسلم، على الأقل تلغي الفروق كافة بين الفقير والغني، بين الشحاذ والأمير إلغاءً تاماً، ذلك أن كل حاجّ مسلم يلبس خلال أداءِ تلك الفريضة الثياب المناسبة، وبالتالي فإن الشريعة، هي القانون الإسلامي كما ترى، فتقول(لورفيشيا) في ذلك :"ليست وقفاً على الشعائر والطقوس، إن جميع مظاهر الحياة الجماعية والشخصية خاضعة لأحكامها، وإنها لتهدف إلى ربط كل عمل من أعمال الفرد بواجباته الدينية، إن جميع فروع القانون تتمثل في الشريعة الإسلامية".[32]

أما عن العقوبات في القرآنية ، فترى لورفيشيا أنها تجد في الحدود الإسلامية؛ أو العقوبات الحكمة البالغة بخلاف العديد من المفكرين الغربيين الذين حاولوا أن يجدوا فيها الثغر التي يعلنون من خلالها إدانتهم لقسوة هذا الدين، "فإذا تأملت من وجهة نظر منع الإجرام في العقوبات القاسية المفروضة على من يرتكب جريمة القتل، أو الفسوق، أو السُّكر، أو السرقة واللصوصية، تشعر بأنها حكيمة جداً وبخاصة إذا أردفت بالتمجيد القرآني المتكرر للصفح والمغفرة، كشيء مستب عند الله، والاعتدال في المطالبة بالدم ثمناً للجريمة، وفي دفع التعويضات وهذه العقوبات ينبغي أن تدرس أيضاً على ضوء المبدأ الأساسي في الشرع الإسلامي ذلك المبدأ القائل بأنه في موضوع الخروج عن طاعة الله يتعين على المؤمن أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لاجتناب إنزال العقوبة بالإثم، لقد أقام الله علاقته مع الناس على أساس الرحمة والرأفة. فهي تصف الإسلام بأنه ينبوع من الماء الصافي النمير، وسط شعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء بعيدة عن ملتقى طرق الحضارة و الفكر الإنساني، و كان ذلك الينبوع غزيراً إلى درجة جعلته يتحول وشيكاً إلى جدول، ثم إلى نهر ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد، و في تلك المواطن التي ذاق فيها القوم طعم تلك المياه الأعجوبة سويت المنازعات و جمع شمل الجماعات المتناحرة، و بدلاً من الثأر الذي كان

هو القانون الأعلى و الذي كان يشد العشائر المنحدرة من أصل واحد في رابطة متينة، ظهرت عاطفة مشتركة من الأخلاق والدين، وما أن أمسى هذا الينبوع نهراً لا سبيل إلى مقاومته حتى طوق تياره الصافي ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة" .[33]

"إن الآية القرآنية التي تشير إلى عالمية الإسلام بوصفه الدين الذي أنزله الله على نبيهﷺ رحمة للعالمين، هي نداء مباشر للعالم كله، و هي دليل ساطع على أن الرسولﷺ شعر في يقين كُلي أن رسالته مقدر لها أن تعدو حدود الأمة العربية، و أن عليه أن يبلغ الكلمة الجديدة إلى شعوب تنتسب إلى أجناس مختلفة، و تتكلم لغات مختلفة" .[34]

و بفضل الإسلام هزمت الوثنية في مختلف أشكالها، لقد حرر مفهوم الكون وشعائر الدين وأعراف الحياة الاجتماعية من جميع المسوخ التي كانت تحط من قدرها، وحررت العقول الإنسانية من الهوى، لقد أدرك الإنسان آخر الأمر، مكانته الرفيعة، "لقد حررت الروح من الهوى، و أطلقت إرادة الإنسان من القيود التي طالما أبقته موثقاً إلى إرادة أناس آخرين، أو إلى إرادة قوى أخرى يدعونها خفية، لقد هوى الكهان، و حفظة الألغاز المقدسة الزائفون، و سماسرة الخلاص، و جميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله و الإنسان و الذين اعتقدوا بالتالي أن سلطتهم فوق إرادات الآخرين...أعلن الإسلام المساواة بين البشر، لقد جُعل التفاضل بين المسلمين، لا على أساس من المحتد أو أي عامل آخر غير شخصية المرء، و لكن على أساس خوفه من الله" .[35]

الخاتمة

نخلص من خلال ما تقدم إلى النتائج التالية:

1- لم تكن ثورة الإسلام انتفاضة مفاجئة يعقبها سقوط، ولكنها كانت تتميز بالقوة والاستمرار.

2- اعتمدت المستشرقة لورافيشيا في دراستها على علم غزير، و إخلاص عميق، وعلى مشاركة وجدانية وحسن تفهم، وهذه المزايا هي التي جنبتها مزالق الضلال التي سلكها أغلب المستشرقين. وقد وفقت في استعراضها الموجز لمظاهر القوة في القرآن الكريم.

3- تحدثت عن متانة وقوة القرآن الكريم وروعة أسلوبه، أثره في الفتوحات الإسلامية، وأرجعت سرعة انتشار الإسلام إلى أن هذا الكتاب الذي قدمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة مع تخييرها بين قبوله و رفضه كتاب الله كلمة الحق أعظم معجزة قُدمت للعالم. ولم ينتشر عن طريق القوة أوحد السيف أو عن طريق المبشرين .

الهوامش

1- لورافيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، منشورات دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ص28.

2- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، طبعة1992م، مكتبة الفكر، بيروت- لبنان، ص66.

3- - دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبيﷺ، د/ ت، د/ ط، ص76.

4- - أحمد الشيخ رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، طبعة1958م، 3/ 331.

5- - محمد محمد حسين، الإسلام و الحضارة الغربية، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1979م، ص5.

6- - أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، طبعة1998م، ص22.

7- محمد حسين علي الصغير، المستشرقون و الدراسات الإسلامية، بيروت- لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط2 ص12.

8- عبد الجبار الرفاعي، نحن و الغرب، دار الهادي، بيروت- لبنان، طبعة2002م، ص19.

9- ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، 1/ 118.

10- لورافيشيا، دفاع عن الإسلام، مرجع سبق دكره، ص61.

11- م. ن. ص60.

12- م. ن، ص60.

13- م. ن، 24.

14- لورافيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، منشورات دار العلم للملايين ، طبعة1981م، بيروت – لبنان، ص56.

15- لورافيشيا دفاع عن الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص58.

16- لورافيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، المصدر السابق، ص59.

17- لورافيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير بعلبكي، بيروت- لبنان، منشورات دار العلم للملايين، ص21، 22.

18- المصدر السابق، ص56.

19- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، مصدر سبق ذكره ص76.

20- لورافيشيا، دفاع عن الإسلام، ص56، 57.

21- م. ن، ص57.

22- عماد الدين خليل، المصدر السابق، ص76.

23- المصدر السابق، ص76.

24- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص119.

25- المصدر السابق، ص120.

26- المصدر السابق، ص120.

27- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص121.

28- لورفيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، مرجع سبق ذكره ص106- 111.

29- لورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، منشورات دار العلم للملايين- بيروت، ط5، ص25..

30- المرجع السابق، ص68.

31- المرجع السابق، ص69.

32- لورافيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، مصدر سابق، ص96.

33- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص205.

34- سورة الأنبياء، الآية:107.

35- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص206.